

نفحات القرآن

[188] خُلِقَ للتكامل على أساس سنة إلهية، فلا ينبغي الشك في أن وسائل ودوافع مثل هذا التكامل يجب أن تكون مهيئة في ذاته، وموجودة، وإن ما جاء به الانبياء وما ورد في الكتب السماوية متناسب وهيئة الانسان التكوينية. وعليه، فحاكم التكوين والخلقة متناسب وفي تناسق كامل مع عالم التشريع. أو بتعبير آخر، فإن صفوة هذه التعليمات مودعة في ذات الانسان وإن ما جاء في الشرائع السماوية هو شرح مفصل لهذه الصفوة من التعليمات. ولهذا، فلا يمكن التشكيك في التعاليم الفطرية التي يؤيدها العقل والرؤية الكونية التوحيدية. *

* سؤال: لقد صرّح القرآن: (وَإِذْ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطْحُونِ أَمْهَا تَكْفُرُ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلْ لَّكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) (النحل / 78). ألا يستفاد من هذه الآية أن لا وجود للمعلومات الفطرية أبدأ؟ الجواب: أولاً: أن الانسان في ساعات ولادته لا يعلم شيئاً قطعاً، وحتى المعلومات الفطرية ليست فعلية، وعندما يعرف نفسه ويصبح مميزاً يتحسس المعلومات النظرية ويذكرها بلا معلم أو استاذ أو حس أو تجربة، وإلا فكيف يمكن القول بأن الانسان يعلم كل شيء حتى بوجوده بالذات - بالتجربة وأمثالها(1). 1 - نقلت عبارة معروفة عن (دكارت) قال فيها: "كنتُ شاكاً حتى في نفسي، ثم رأيت اني افكر، فأدركتُ اني موجود" إنها عبارة مليئة بالأخطاء، لأن الذي يقول: أنا أُفكر فانه يعترف بال (انا) قبل اعترافه بالتفكير، لا أنّه يعترف بالتفكير قبل الأنا.